



في مكة انشغل القوم بالحرب بين فارس والروم، وكان كل فريق منحازاً إلى الأقرب إليه، فالمسلمون مع الروم من أهل الكتاب، والمشركون مع الفرس من أهل الأوثان. وقد وصل الأمر في اهتمامهم وتفاعلهم إلى المراهنة والمخاطرة كما هو مشهور من قصة أبي بكر الصديق مع المشركين في مكة.

هل كان المسلمين آنذاك يجهلون أن الروم على دين باطل؟!
هل كانوا يجهلون الفرق العظيم بين دينهم ودين النصارى المحرف؟!
هل كانوا يجهلون أن بعض مقالات أهل الكتاب تقاد السماوات يتقطرون منها وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدا؟!
هل كان المسلمين آنذاك يجهلون أن معركتهم مع الكفر وأهله قد تصل في المستقبل إلى قتال الروم وأهل الكتاب؟!
لقد كان المسلمين يعلمون ذلك كله.. ومع ذلك اعتبروا انتصار الروم على فارس نصر الله الذي يستحق الرهان قبل وقوعه، ويستحق الفرج بعد وقوعه دون تردد أو تلعم.
والقرآن جاء واضحا في هذا المعنى: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرٍ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)» (سورة الروم).

إننا بحاجة إلى القرب من هذا المعنى القرآني المشرق ونحن نشهد العدوان الصهيوني على إخواننا المسلمين في غزة. نحتاج هذا التور وهذه الهدایة ونحن نسمع قوما يريدون منا أن نقف ضد أهل غزة لهذا السبب أو ذاك، وربما جعلوا هذا الموقف من النقاء العقدي الذي لا يتورط في دعم أهل البدعة والانحراف بزعمهم، وربما جعلوه من الحنق السياسي الذي لا يدعم قوما مختلف معهم أو سنهختلف معهم في المستقبل.

وكل ذلك لغو من القول لا يمت إلى الدين والعقل والسياسة بصلة. وهو منطق أعوج يحمل صاحبه على مخالفة ومناولة الأقرب، ثم هو بموقفه هذا يساعد الأبعد والأكثر ضررا وخطرا وهو يدرى أو لا يدرى! أي تدين يجعلني متربدا متلثما في الوقوف مع المسلم المظلوم ضد الكفارة المجرمين الذين مردوا على الظلم والبغى وقتل الأطفال والنساء؟!

في مثل هذه المعارك ليس هناك موقف ثالث، فكل موقف إما أن يقوى الصهاينة الظالمين أو يساعد إخواننا المظلومين. حتى الحياد والإعراض عن الطرفين هو نوعٌ من الدعم والمساعدة للقوى الظالم الذي يريد أن يترك الناس وظلمه. قل ما شئت عن غزة والفلسطينيين وحماس والجهاد، قل ما شئت مما تحفظه من تاريخهم أو تتوقعه من مستقبلهم؛ فكل ذلك لا يبرر لنا أن نتردد في نصرتهم أمام العدوان الصهيوني. وأي تردد في نصرتهم هو مساعدة للصهاينة الأكثر ضرراً وخطراً.

لقد قاتل المسلمون الروم ولم يعتبروا هذا القتال دليلاً على خطأ موقفهم السابق في تأييدهم ضد الفرس، ولو حصل هذا في زماننا لسمعت العجب العجاب.

يخطئ من يظن أن تأييد هذا الطرف أو ذاك يعني الموافقة التامة، وبسبب هذا الخطأ يقع في أخطاء متسلسلة يتبعدها بها! ولو تأمل المواقف النبوية واقترب من المعانى القرآنية لاستبان له وجه الحق، وعلم أن الموافقة التامة ليست شرطاً في النصرة والمساعدة.

وأن نصرة ومحبة الإسلام هي التي تحمله على نصرة المظلوم رغم أخطائه، وهي التي تحمله على تأييد الأقرب رغم ضلاله وخطاياه.

بسم الله الرحمن الرحيم: «أَلمْ (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِتِّينِ لَهْلَهْ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) » (سورة الروم).

الإسلام اليوم

المصادر: